بـ «حكومة ذات سيادة» ـ تنشأ في جميع الاراضي المحررة من الاحتلال الاسرائيلي، بينما يبقى هدف منظمة التحرير الفلسطينية هو تحرير جميع الاراضي الفلسطينية. هذا البرنامج كان، على أي حال، مساومة اقتضتها الضرورة، بسبب معارضة معظم قادة الفصائل الراديكاليين، وبخاصة حبش وجبريل اللذان كانا يعارضان ذكر أي بحث في هذا الموضوع، خصوصاً وان حبش ادّعى بأن عرفات كان وافق، في الحقيقة، مع السوفيات على فكرة «الدويلة»(١٣٢).

ما هو أكيد، ان الخط السوفياتي العام بقي، على الرغم من دعمه للمنظمة، مناوئاً للعمليات العسكرية في الخارج، بل وحتى للكفاح المسلّح في الداخل. وما يلفت الانتباه اليه، على هذا الصعيد، هو مطالبة الاذاعة السوفياتية الناطقة باللغة العربية، بمناسبة زيارة عرفات، الفلسطينيين بـ «الشعور بالمسؤولية»، وحضّت على القيام بنشاط سياسي أكبر في الاراضي المحتلة، وهو الاتجاه الذي عبّرت عنه الجبهة الوطنية الفلسطينية. وربما كان هذا الامر مرتبطاً بخيار موسكو من أجل القيام بنوع من العصيان المدني، الذي حفّز، في حينه، أهالي الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، في اثناء مناقشات القضية الفلسطينية في الجمعية العامة للامم المتحدة، وفي مؤتمر الرباط. لقد أشار احد الصحافيين الفلسطينيين، الذي رافق الوفد في هذه الزيارة، الى خلافات مع الاتحاد السوفياتي، مؤكداً ان جلّ ما يريده السوفيات هو تجنّب المواجهة المسلّحة في المنطقة بأي وسيلة كانت، ويريد منطق السلام في أوقات الازمات، «بينما نرى، نحن الفلسطينيين، ضرورة تصعيد الكفاح المسلّح»(١٣٣).

الى جانب ذلك، يبدو ان السوفيات ضغطوا باتجاه التشديد على «ضبط» الساحة الفلسطينية الداخلية. وقد أوحى تعليق عرفات بأنه لم يرضَ عن الطرح السوفياتي في هذه القضية. وقال، بعد اعترافه بوجود وجهات نظر مختلفة داخل الحركة الفلسطينية، انه على الرغم من تقوية وتحسين العلاقات بين فصائل الحركة، فان التعبير عن وجهات النظر المختلفة دليل على «عافية الثورة». وباعترافه بوجود تيارات متباينة في الرأي، سأل، وكأنه يتحدّى الاتحاد السوفياتي: «وهل توجد ثورة دون تيارات سلبية؟ بل حتى في الدول المستقرة توجد هذه التيارات؛ ونحن لا نتوقع ثورة من دونها، وخاصة الثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية»(١٣٤).

على ان الزيارة انتهت ببيان رحّب باعتراف الآخرين بالمنظمة، أي اعتراف مؤتمر الرباط، مع ان هذا لم يعتبر اعترافاً سوفياتياً مباشراً. وكان هذا، بالطبع، مجرّد تحفّظ رسمي، مع العلم بأن جميع أشكال الاعتراف الاخرى كانت تلائم منظمة التحرير الفلسطينية، ولكنها كافية لترك منفذ صغير للمناورة في المستقبل. وفي الوقت عينه، يستطيع الاتحاد السوفياتي بهذا الضغط ان يشير الى الاعتراف الضمني الوارد في هذه البيانات والخطابات والتعليقات، اضافة الى التأييد السوفياتي لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة، الذي ينسجم مع الوضع الذي تنشده المنظمة(١٣٥).

قصارى القول، ان العلاقة بين الاتحاد السوفاتي ومنظمة التحرير الفلسطينية، في تلك المرحلة، لم تكن نوعاً من الاعجاب المتبادل، او الاتفاق على وجهات النظر، بل تطوّرت نتيجة العوامل الاقليمية، والدولية، وبخاصة الدولية، بسبب التنافس مع الولايات المتحدة الاميركية. وضمن حدّي هذه الفرضية، تطوّرت العلاقة، تدريجياً، الى ان وصلت الى تأييد فكرة اقامة الدولة الفلسطينية في العام ١٩٧٤، والاعتراف الحذر بدور منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني. وربما كانت تأكيدات الاتحاد السوفياتي لمركزية العامل الفلسطيني في أي تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، وسيلة لتهميش وسدّ الطريق أمام تقدّم الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة، على